الحوار مع الخصم... والحوار مع الذات

بلال الحسن

كاتب وصحافي فلسطيني

لقد قيل كلام كثير عن المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية الجارية، وبخاصة حول المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية، سواء في نطاق المفاوضات الثنائية أو في نطاق المفاوضات متعددة الطرف. وأمام هذا الكلام الكثير هناك حاجة لوقفة تتمّ فيها تنقية الكلام من شوائبه، بحيث نبقي على ما هو جوهري وأساسي ونتخلص من التفاصيل التي تشوش على صلب الموضوع، حتى نتمكن من اجراء حوار مفيد، سواء كان هذا الحوار مع النفس أو مع الآخرين.

وبداية يجب ان نستبعد منغصات الحوار، وننأى بأنفسنا عن الوقوع الدائم في مطب الاوصاف الجاهزة، التي من شأنها ان تلغي الحوار قبل ان يبدأ، أو ان تحوله الى حوار مكرور، يقول كل طرف فيه ما عنده، دون ان يصل الى نتيجة، ودون ان يحقق أي تغيير أو تطوير. وعلينا لكي نستطيع ان نفعل ذلك، ان نؤكد على القضايا التالية:

● يجب ان نقيم فارقاً واضحاً بين النقد وبين الادانة. فالنقد، عملية تقويم، وليس مجرد توجيه اتهامات. ومَنْ يحول النقد الى مجموعة اتهامات فحسب، يكون هدفه التدمير والتخريب، ولا يكون هدفه، مطلقاً، التغيير والتطوير. ويقتضي ذلك، في المقابل، ان تقبل القيادة الفلسطينية عملية النقد، باعتبارها عملية تقويم ضرورية، وان لا تضيق بها، وان لا تغلق الأبواب عليها.

● كما يجب ان نقيم فارقاً واضحاً بين المجتهدين وبين الرافضين. فداخل كل إطار سياسي هناك خلافات تنشأ، وهناك اجتهادات تتعارض في ما بينها، وفريق التسوية السياسية الفلسطيني، ليس بالضرورة، فريقاً متفاهماً، يفكر بالطريقة نفسها، ويصل الى النتائج نفسها. ومن الطبيعي ان تنشأ خلافات، أحياناً، داخل فريق التسوية السياسية، وربما تكون هذه الخلافات حادة، دون ان يعني ذلك الانتقال الى موقف الرفض والرافضين. وإذا لم تستطع القيادة الفلسطينية، ان تضع هذا الفارق الواضح بين المجتهدين والرافضين، فإنها لن تستطيع، بالتالي، الاستفادة من أي حوار يدور.

● كما يجب ان نقر، سلفاً، بأن الرافضين في الحياة السياسية الفلسطينية نوعان: نوع يعتبر الرفض منهجاً في الحياة الفكرية، وهو أقرب الى ما يعرف في الحياة السياسية بالتيار العدمي، وله مثيله في الحركات السياسية الثورية العالمية. ويمكن التعامل مع هذا النوع من الرفض بالتجاهل والنبذ، وتركه ليتعامل مع منهجه السياسي كما يريد، دون عناية باسترضائه أو اقناعه. وهناك نوع آخر من الرفض، ينبع من طبيعة القضية الفلسطينية نفسها، باعتبارها قضية حق تاريخي، وقضية